ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Zainab Ali Hasoon

Dr. Fahd Awaid Abd

University: Wasit University

College: College of Education for Human Sciences

Email: Falbuaij@uowasit.edu.iq

zainabaljourani131@gmail.com

Keywords:

the Ottoman Empire, Bayezid II, François I, Cato-Cambrisses.

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	18 Jul 2022
Accepted	11 Sep 2022
Available online	1 Oct 2022

Early French-Ottoman relations until 1716

A B S T R U C T

The research represents the early establishment of Ottoman French relations, which are rooted in the end of the fifteenth century, the beginning of which was marked by the attempt by Sultan Bayzid II (1481-1512) to establish a relationship with France based on negotiation with the French King Louis XI in order to obtain his brother, Prince Jem, who was in the hands of the French King. this relationship wasn't out of coldness and weaknesses , yet its evolved between the two parties By the sixteenth century to lead for an alliance and military support, Also it solidified more specially after The Sultan granted economic privileges to France, and achieved its economic, diplomatic and economic goals

© 2022 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

بواكير العلاقات الفرنسية ـ العثمانية حتى عام 1716

زينب علي حسون /كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة واسط

أ.م.د فهد عويد عبد/كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة واسط

الخلاصة:

تتطرق الدراسة بواكير العلاقات الفرنسية العثمانية التي تعود جذورها الى نهايات القرن الخامس عشر ،التي كانت بدايتها تدور بمحاولة السلطان بايزيد الثاني (1481-1512) انشاء علاقة مع فرنسا قائمة على اساس التفاوض مع الملك الفرنسي لويس الحادي عشر من اجل الحصول على اخيه الامير جم الذي كان بيد الملك الفرنسي ، وبحلول القرن السادس عشر تطورت العلاقة بين الطرفين الى التحالف وتقديم الدعم العسكري وصولاً الى منح السلطان امتيازات اقتصادية لفرنسا ، لكن هذه العلاقة لا تخلو من الفتور والتقارب حيث أفل نجمها في النصف الاول من القرن السابع عشر لكنها توطدت فيما بعد بتحقيق فرنسا اهدافها الدبلوماسية والتجارية والسياسية .

الكلمات المفتاحية : الدولة العثمانية ، بايزيد الثاني ، فرانسوا الاول ،كاتو كامبريسس.

المقدمة

شهد القرن الخامس عشر بداية لصلات فرنسية –عثمانية وكانت في بدايتها تدور في فلك العداء والحرب للعنصر التركي الذي كان يجتاح مناطق البلقان والبحر المتوسط آنذاك ، والتي افتتحت بسعي السلطان بايزيد الثاني (1481-1512) بقيام تفاوض مع الملك الفرنسي لويس الحادي عشر عن طريق اجراءه محاولتين بواسطة ارسال مبعوث عثماني الى فرنسا من اجل الحصول على اخيه الامير جم الذي هرب من الامبراطورية العثمانية بعد مطالبته بعرش السلطنة الى عدة اماكن اخرها وقوعه بيد الملك الفرنسي لويس الحادي عشر ، لكن محاولات السلطان قد باءت بالفشل ، بيد ان العلاقات شهدت تطوراً ملحوظاً في عهد الملك الفرنسي فرانسوا الاول والسلطان العثماني سليمان القانوني وتم انشاء تحالف فرنسي عثماني ضد اسرة آل هابسبرغ ،لم تقتصر العلاقة الى هذا الحد بل منح السلطان العثماني امتيازات اقتصادية لفرنسا . واستمرت العلاقة بين الطرفين بين مد وجزر خلال النصف الاول من القرن السابع عشر حتى عام 1716.

بواكير العلاقات الفرنسية ـ العثمانية حتى عام 1716.

تعود اقدم الاشارات لصلات فرنسا المبكرة مع الدولة العثمانية إلى عهد السلطان بايزيد الثاني(1481ــ1512) في اطار صراعه مع اخيه الامير جم(الامير جم هو الابن الاصغر للسلطان محمد الفاتح، وكان حاكما على امارة القرمان عند وفاة والده، فادعى السلطنة ونافس اخاه بايزيد عليها، ودخل الاخوان في صراع وتنقل جم بين عدة جهات دولية طالبا المساعدة والعون ضد اخيه، وانتهى به المطاف عند البابا الذي اتفق مع السلطان بان يجري له راتبا ولا يهاجم السلطات الاراضي الايطالية مقابل التحفظ على الامر وعدم اطلاق سراحه، وعندما غزا الملك الفرنسي ايطاليا طالب به فسلمه البابا، لكن الامير جم لم يلبث ان توفي. creasy،1961،p.67-77 ؛ Delajonquiere,1914,p.129-132 ؛ افندي، 1855،ص1119-120)

ومحاولة السلطان اقامة علاقات مع الحكومة الفرنسية، فتم ارسال مبعوث عثماني هو حسين باي عام 1483 الى فرنسا، غير أنَّ البعثة فشلت في مساعيها بعد ان وصل المبعوث الى مدينة شامبري، ووجد الملك الفرنسي لويس السادس قد توفي، فعاد السفير الى بلاده دون تحقيق شيء يذكر(رائسي ، 2007، ص93) وبعد ذلك بثلاثة اعوام ارسل الباب العالي المبعوث نفسه الى فرنسا بمهمة تتعلق بإقامة علاقات بين البلدين، غير ان الملك الفرنسي شارل الثامن رفض مقابلة المبعوث وانتهت المهمة عند هذا الحد (رائسي ،ص93).

لكن مع مستهل القرن السادس عشر، اصبحت العلاقات بين الطرفين اكثر الحاحا وكل منها مدفوع بدوافعه تجاه الاخر، لاسيما بعد حدوث جملة من التغيرات التي شهدتها منطقتا وسط اوروبا والبحر المتوسط، فالدولة العثمانية كانت في ظل استراتيجيتها الخاصة بالتوسع والسيطرة في البحر المتوسط في حالة صراع عنيف مع اسبانيا(Lewis,1999,pp.839-842؛ Gofan,2003,p.152-155)

وفي وقت كانت فيه فرنسا تخوض صراعا مع الاسبان سواء في اطار مايسمى بالحروب الايطالية(هي حروب متقطعة نشبت بين البلدين فرنسا واسبانيا لمدة ستين عاما (1494ـــ 1559) وكانت الغاية منها التوسع الاقليمي من الاراضي الايطالية، للتفاصيل يراجع. maltett,2014؛ الشناوي ،1969،ص130-310) او حول التاج الامبراطوري(بدأ ذلك الصراع بوفاة الامبراطور الهاسبيركي Habsbourg مكسلميان الاول Macciclian I في الثاني عشر من كانون الثاني 1519 وكان المنصب يتم شغله بطريقة الترشيح لا الوراثة وفقا للمرسوم الذهبي the Gold Bull الذي سبق وأن اصدره الامبراطور شارل الرابع امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة عام 1356 والذي ينظر عملية الانتخابات وحصرها سبعة من كبار الامراء في الامبراطورية ويسمون الناخبين the Electors وعندما توفي الامبراطور مكسمليان رشح نفسه كل من الملك شارل الخامس ملك اسبانيا وفرانسوا الاول ملك فرنسا للمنصب الامبراطوري على احتساب الاول هو حفيد الامبراطور المتوفى اما الملك الفرنسي فطرح امسه للترشيح من منطلق رفضه في جعل المنصب الامبراطوري من عائلة آل هبيسبرك لثلاثة اجيال متعاقبة وكان له من يؤيده حتى بين الامراء الالمان. للتفاصيل عن ذلك الصراع واطرافه ونقاط- القوة والضعف عند كل مرشح يراجع ، الشناوي ، ص192-205)

وكل ذلك يعني ان العداء لإسبانيا كل بمثابة القاسم المشترك بين العثمانييـــــن والفرنسيين(حسنة ،2005-2006،ص15). وتأسيساً على ذلك بلغ الصراع الفرنسي ـــ الاسباني ذروته بهزيمة الملك الفرنسي فرنسوا الاول (1515ـــ1547) على يد الملك الاسباني شارل الخامس (1519ـــ1556) في معركة بافيا التي دارت رحاها من الرابع والعشرين من شباط 1525 تعالت نداءات الملك الفرنسي للسلطان العثماني سليمان القانوني عبر مبعوثه فرنجباني franjipani الذي ارسله للسلطات حاملا رسالة يطلب منه فيها فتح جبهة جديدة بمهاجمة البحر عام 1526 ليخفف عنه الضغط (Bruneau,1932,pp.19-20 ؛ Delahonquiere,1914,pp.52-53 ؛ شوجر، 1998،ص88)

و لم يكن الدافع السياسي فقط وراء تنامي العلاقات الفرنسية ـــ العثمانية وانما تضمن التوجه بعداً اقتصادياً، ففي عام 1528 جدد السلطان العثماني سلمان القانوني الامتيازات الفرنسية في مصر التي كانوا قد

حصلوا عليها من عهد السلطان المملوكي قانصوى الغوري 1500 – 1516، عام 1506، وطبقا للتجديد العثماني لعام 1528 حصل الفرنسيون على حق اقامة قنصليات وتخفيضات كمركية(للاطلاع على نص مرسوم السلطان المملوكي للفرنسيين يراجع: فهمي، 1970، ص 471 – 473.؛ وللاطلاع على نص التجديد العثماني يراجع: souse ,1933,p.53).

وفي صيف عام 1533 وصل مبعوث من قائد الاسطول العثماني في البحر المتوسط القبطان خير الدين بربروسا لمقابلة الملك الفرنسي وبصحبته عدد من الاسرى الفرنسيين الذين اعادهم خير الدين لبلادهم بعد فك اسرهم من الاسبان، الامر الذي ترك اثره البالغ في نفس الملك الفرنسي(shqw,1976,p.97). وبعد مدة وجيزة وصل الى فرنسا مبعوث من السلطان العثماني يطلب من الملك عدم عقد الصلح مع الامبراطور الاسباني، لأنه سيلزمه ان يعيد للملك الفرنسي كل ما اخذه اثناء مدة اسر الاخير عند الملك الاسباني، ونتيجة لذلك تقاربت وجهات نظر العاملين لدرجة ان الصدر الاعظم ابراهيم باشا قال (ان ملك فرنسا في سلم ووفاق معنا وكأنه اخ الامبراطور الاتراك)(Shaw,p.97) ولهذا يذكر ان الملك الفرنسي فرانسوا الاول ذكر للبابا كلمنت السابع (1523ـــ1534) يوما انه لن يعارض غزو السلطان للبلاد المسيحية وانما سيعينه في ذلك حتى يتمكن من استرجاع ما كان يمتلكه وانتزعه منه الامبراطور(كلو ، 1991،ص167-168).

وتوثقت عرى الصداقة بين البلدين بشكل امتن في عهد المبعوث الفرنسي رينشون Rinshon، لدرجة ان السلطان سليمان دعا الملك الفرنسي لحضور مراسيم ختان ابنائه وزواج ابنته الاميرة محرمة من الصدر الاعظم رستم باشا، وازدادت العلاقة رسوخا بعد ان اكتشف الملك الفرنسي ان الامبراطور الاسباني شارل الخامس كان يدبر مؤامرة لاغتيال سفيره في اسطنبول، الامر الذي اثار غضبه وغضب السلطان على حد سواء(كلو ، ص173).

و لم تكن كل تلك الجهود كامنة لتأسيس علاقات عميقة بين الطرفين، حتى توج النشاط الفرنسي تجاه الدولة العثمانية بعقد معاهدة الامتيازات في الثامن من شباط 1535 وتمت مصادقتها من الثامن من كانون الثاني 1536(Miller,p.2 ؛ duggan ,1956,p.17 ؛ Sousal,1981,s.9-10) المفاوضات التي جمعت بين اصدر الاعظم ابراهيم باشا والمبعوث الفرنسي السير جان دولا فوريه sie. Jean dalaforest الذي تم تعيينه بصفته أول سفير فرنسي في اسطنبول في ايار 1535(jamsem,1985,pp.453-454) وبلغت المعاهدة من الاهمية لدرجة ان البعض قال عنها بانها ادت الى قلب ميزان القوى في البحر المتوسط(القيسي ،2008،ص151) ويكفي للدلالة على المكانة التي تبوَّأها الفرنسيون بموجب مضامين تلك المعاهدة في نظر العثمانيين ان جميع السفن التجارية الاجنبية اصبحت تبحر وتتاجر حاملة العلم الفرنسي في

المياه والموانئ العثمانية(للاطلاع على الظروف التي عقدت في ظلها المعاهدة يراجع : الدوري، 2012. وللاطلاع عن نص المعاهدة يراجع: witz,1956,pp.1-5 ؛ souse ,1933,p.54)

ومن المهم قوله ان الاوامر صدرت من الملك الفرنسي فرانسوا الاول الى سفيره في اسطنبول جان دي لافوريه في اثناء توجهه الى اسطنبول في حزيران 1535 بان يتوجه الى قائد البحرية العثماني خير الدين بربروسا في تونس انذاك لاستطلاع رأيه في مهاجمة ايطاليا بصورة مشتركة وذلك بات يهاجمها الفرنسيون برا في حين يهاجمها الاسطول العثماني بحرا، وكان الملك الفرنسي يؤكد دائما على اهمية احتلال جنوا وكورسيكا، بالنسبة للسلطان بدلاً من التوسع تجاه الدانوب ومناطق البلقان، لان ذلك سيؤدي الى استفزاز الامراء ودفعهم لنصرة الامبراطور الهابسبيركي (usru,1908,74-76,86)

وقد اعطت معاهدة 1535 العلاقات بين البلدين دفعة الى الامام من ميدان التعاون العسكري، ففي الحقبة التي اعقبت توقيع المعاهدة ابدى الطرفان كثيراً من المساعدات العسكرية، وفي هذا الاطار \في السابع عشر من ايار 1537 غادر السلطان اسطنبول متوجها نحو فالونا على الساحل الالباني، يرافقه اسطول يقوده لطفي باشا صهر السلطان وخير الدين بيرويروسا (خير الدين بريروس : عام 1470 ولد في جزيرة ميديللي وتوفي 5 تموز 1546 توفي في اسطنبول، بعد دخوله في خدمة الدولة العثمانية ابتداء من عام 1535 تقلد عدة مناصب منها والي الجزائر ووزير البرية العثمانية : للمزيد يراجع: مذكرات خير الدين بربروس، 2010)

وكانت الغاية من هذه الحملة الاستيلاء على برنديزي التي تتحكم بالطرق المؤدية الى يوغليا ونابولي وروما ونجح السلطان في الوصول الى فالونا بعد ان امر جنوده بشن حملة على كورفو التي كانت تابعة للبندقية على أن الخطة لم تنجح بسبب تقاعس الملك الفرنسي عن تنفيذ الجزء المكلف به منها، اذ كانت تنص بان يهاجم الفرنسيون ايطاليا من الشمال من حيث يهاجمها العثمانيون من الجنوب، لكنها في الوقت ذاته كانت كافيـة للإيماء للأوربيين بانها خطة طموحة، وسادت بسببها حالة من الذعر لدى الحكومات الاوربية(القيسي ،2000،ص152-153).

وقد اثارت هذه الحملة غضب سائر الدول الاوربية المتوسطة، وتشكل على اثر ذلك تحالف ضم كل من البندقية والبابوية وامبراطورية الهابسبيرك وفرسان القديس يوحنا(فرسان القديس يوحنا، فرقة دينية – عسكرية نشأت في عام 1099 من قبل مجموعة من قبل المتطوعين المسحيين، وشكلوا لأنفسهم عدة مراكز من السام ورودس ومالطا عنهم وعن نشاطهم يراجع smith,1967).ويرى البعض ان البندقية بسبب استيائها من التقارب الفرنسي العثماني الذي وضع حدا لهيمنتها من الجزء الشرقي من البحر المتوسط، بات كل من يرغب من ممارسة التجارة هناك ان يعمل تحت حماية العلم الفرنسي، وهذا يعني ان التأثير الاقتصادي

السياسي الفرنسي اخذ يطغى على كل التأثيرات في الدولة العثمانية، الامر الذي يعني تهديد مصالح الدولة الاخرى، وبناءً على ذلك بعث البندقية لتشكيل ذلك التحالف الذي بلغ باطرافه أن وضعوا خطة اولية لتقسيم مملكات الدولة العثمانية في حالة هزيمتها (Stanley, Jerrold kelly,1890,p.97؛ سرهنك ،1892،ص542). ولكل شيء من كان يمنى به هؤلاء انفسهم لم يتم، فعندما قرر اطراف التحالف من الثامن والعشرين 1538 مهاجمة الاسطول العثماني استطاع الاخير انزال الهزيمة الساحقة بالاسطول الاوربي في ميناء بريفيزا preveca (Stanley, Jerrold kelly,pp.99-101).

مما اجبر البنادقة على الانسحاب من التحالف،لاسيما بعد ان تعززت القوة العثمانية بوصول قوة من البحرية الفرنسية (ومن الجدير بالذكر ان بعض المؤرخين الفرنسيين اشاروا الى ان وحدات الاسطول الفرنسي بقيادة سان بلانكار كانت موجودة في مياه المعركة ولكنها لم تشترك : نقلا عن الشناوي، 1969، ص 712.) وبتشجيع ووساطة فرنسية من خلال مبعوثين فرنسيين هما رنسون Rincon وسيزار كانتلمو .C cantelmo لهذا الغرض اضطرت البندقية امام 1540 الى طلب الصلح والتنازل للدولة العثمانية عن جزر الارخبيل(shaw,1976,p.99).

وعلى اثر تجدد الحرب الفرنسية الاسبانية عام 1540 – 1544 حول دوقية ميلان التي منحها الملك الاسباني لابنه الامير فيليب لذا ثارت ثائرة الملك فرانسوا الاول، وقدم السلطان العثماني جميع المساعدات الحربية للفرنسيين اذ ابحر الاسطول العثماني من اسطنبول في ايار 1543 الى جنوب فرنسا لانقاذ ميناء نيس N.ss من حصار القوات الاسبانية، ولم يتردد السلطان العثماني حينذاك بصرف مليون دوكة لتسليح الاسطول، وبلغة اخرى فان السلطان سلح ما يزيد على 200 سفينة في حين لم يتمكن الملك الفرنسي من تسليح 20 سفينة وبصعوبة كبيرة من ذلك الصراع(العزاوي ،2003 ،ص23)

وقد استطاع خير الدين من اداء المهمة الموكلة اليه بالوصول الى نيس في منتصف صيف 1543 لكنه فشل في اقتحام المدينة، حتى بعد ان انظم له الاميرال البحري الفرنسي دوك انجهين Duc d'Enghein وبرفقته اربعون سفينة(Shaw,1976,p.102-103؛ الشناوي ،1969، ص 713 ؛ Stanle ,Kelly ,1890 , p107-108)

ثم اتخذ مدينة طولون الفرنسية قاعدة متقدمة لشن هجمات لا هوادة منها على الاهداف الاسبانية طيلة شتاء عامي 1543 – 1544، ومع انه اعاد الكَرّة مرة اخرى بالتعاون مع الفرنسيين من آب 1543 لكنه فشل ايضا بعد وصول اسطول اسباني يتولى قيادته القبطان البندقي اندريه دوريا ووصول جيش اسباني من جهة البرقارقا من ميلان، وعلى اثر نجاح المفاوضات بين الفرنسيين والاسبان وتوقيع الهدنة بينهما من الثامن

عشر من ايلول 1544 اضطر العثمانيون الى توقيع هدنة مشابهة من العاشر من تشرين الثاني 1545(shaw,1976,p.103).

وكانت هذه اخر المناوشات العسكرية التي اشترك فيها العثمانيون والفرنسيون جنبا الى جنب من البحر المتوسط من عهد الملك الفرنسي فرانسوا الاول قبل وفاته عام 1547، وعندما ارتقى العرش بعده ابنه هنري الثامن Henry II 1547 – 1559 استمر بسياسة التقارب مع الدولة العثمانية، ومن طليعة مواقفه السياسية تجاه الدولة العثمانية وقوفه على الحياد في التحالف الصليبي الذي تشكل عام 1550 من اسبانيا والبندقية وفرسان القديس(حسنة ، 2005-2006 ، ص 27).

وقد استمر التعاون والتفاهم من عهد هنري الثاني ضد اسبانيا، وقد ظهر جليا في رسالة الى السلطان سليمان قائلا (لم يبقَ لدى فرنسا اي امل بالمساعدة من اي مكان اخر عدا حضرة السلطان، حيث ان السلطان قد قدم مساعدات من قبل..... ان فرنسا ستكون ممتنة الى الابد لو سوعدت بمقدار من النقود والبضائع) (نقلاً عن العزاوي ، 2003، ص24) وعلى هذا الاساس من التفاهم توصل الطرفان لعقد معاهدة تحالف في الاول من شباط 1553، واستهدف الطرفان فيها اسبانيا، ويبدوا انها كانت سرية للغاية، ولدرجة لم تذكرها المصادر على حد زعم المؤرخ ديتيستا Detesta، والمصدر الوحيد الذي نشرها هو المؤرخ لونغ lunig الذي نشرها باللاتينية عام 1732، وبموجب تلك الاتفاقية فقد هاجم الاسطولان العثماني والفرنسي السواحل الايطالية (رائسي ، 2007 ،ص 102)

وفي عام 1555 اوفد الملك هنري الثاني احد اتباعه المسمى كودنياك الى اسطنبول لتجديد التحالف مع السلطان فاجابه الاخير الى ما طلبه(خوري واسماعيل ، 1990،ص8) وفي اطار ذلك التحالف اشترك الاسطول العثماني مع الاسطول الفرنسي عام 1555 في مهاجمة سواحل كالابريا جنوب ايطاليا وجزيرة صقلية وجزر البليار ومن سنة 1558 عزز السلطان اسطوله بوحدات بحرية اضافية احتلت سورنزو(خوري و اسماعيل ، 1990 ، ص8).

وفي غضون عام 1559 ترامت الى السلطان اخبار توصل حليفه الفرنسي الى اتفاقية الصلح المعروفة كاتو – كامبريسس من الثالث من نيسان 1559 دون علمه، فاستشاط غضبا ودعا اليه لانكوم langom مبعوث الملك الفرنسي ومما ورد في حديثه (اكتب لسيدك وقل له انه اذا كان صعبا على الاصدقاء ان يصبحوا اعداء، فمن الصعب ايضا على الاعداد ان يصبحوا اصدقاء)(نقلاً عن خوري واسماعيل ، 1990 ، ص8). وتظهر الرسائل التي تبادلها الملك الفرنسي فرانسوا الثاني 1559 – 1560 مع السلطنة ان العلاقات بين الطرفين قد عادت الى سابق عهدها من الودية (رائسي ، 2007 ، ص103).

ولما خلفه شارل التاسع 1560 – 1574 تأثرت سياسته الى حد كبير بفكرة وجوب التنكر للتحالف مع العثمانيين وهذه الفكرة اخذ يروج لها بعض رجال الدين الفرنسيين، كما ان التحالف مع السلطان العثماني كفر والحاد، ولكن تكاثر اعداء فرنسا عليها وتكالبهم فرض على الملك الجديد وجوب اقتضاء اثر من سبقوه بالتضارب مع السلطنة العثمانية ومن هذا السياق تم ارسال كلود دي بور سفيرا الى السلطان وتمت على يديه تجديد معاهدة الامتيازات في الثامن عشر من تشرين الاول 1569(Souse ,1933, p.55,71؛ من الجدير بالذكر ان السبب المباشر لتجديد معاهدة الامتيازات هو شكوى التجار الفرنسيين من الاسكندرية من المضايقات التي اصبحوا يتعرضون لها، وكان هذا مخالفا للبند التاسع من معاهدة عام 1535 وبناء على ذلك ارسل الملك سفيره لحسم الام، رائسي ، 2007 ، ص 103)

وارسل السلطان العثماني سليم الثاني مبعوثا الى الملك الفرنسي بالمقابل عرض عليه مساعدة الاسطول العثماني ضد اسبانيا ومقترحا القيام بشن هجوم فرنسي انكليزي – هولندي مشترك ضدها(القيسي ، 2008، ص 263-264).

لكن العلاقات العثمانية الفرنسية سرعان ما اصابها الفتور في عهد الملك هنري الثالث 1574 – 1589، ومرد ذلك اختلاف وجهات النظر بين الطرفين حول قضية وراثة العرش البولندي، اذ طلب السفير الفرنسي من السلطان العثماني مراد الثالث 1574 – 1595 الاعتراف بالمرشح الفرنسي ملكا على بولندا، من حيث آثر السلطان الاعتراف بالامير المحلي اسقطت المنتخب من الشعب، الامر الذي اغضب الملك الفرنسي(خوري واسماعيل ، 1990 ، ص9 ؛ وللتفاصيل حول مشكلة الوراثة البولندية وموقف الاختراق الدولي منها يراجع : العكيلي، 1999)

كان ذلك التراخي في العلاقات فرصة حاولت بريطانيا استغلالها للتقرب من الدولة العثمانية، والحصول على امتيازات مشابهة للامتيازات الفرنسية والتخلص من احتكار الاخيرة للتجارة الشرقية فارسلت لهذا الغرض السير وليم هاربورت الى اسطنبول في حزيران 1580 وتم التوصل الى اول معاهدة رسمية بين الطرفين، واصبحت بريطانيا بما تضمنته المعاهدة من امتيازات على قدر المساواة مع فرنسا(عن جذور العلاقات البريطانية –العثمانية يراجع

Cecil ,1964,pp. 2-10 ؛ William ,1944,p12-18؛ وللأطلاع على نص المعاهدة يراجع (Witz ,1956,p.7-9

واحدثت النجاحات الانكليزية ردود فعل فرنسية، اذ تحرك السفير الفرنسي في اسطنبول اسير دي جرميني De Germiny باذلا جهودا حثيثة لاعاقة الجهود البريطانية، ولدعم جهود السفير اوفد الملك الفرنسي هنري الثابت موفدا شخصيا هو جاك دي جرمول J. Degermol للقاء المسؤولين العثمانيين وافشال الخطط البريطانية الى اقصى حد ممكن، واثرت التحركات الفرنسية في عقد معاهدة جديدة مع الجانب العثماني في تموز 1581 وجددت فيها الامتيازات الفرنسية وعادت التجارة الاوربية في البحر المتوسط الى سابق عهدها في ظل العلم الفرنسي(.cecil, 1964, pp13- 14).

وعند منعطف القرن توجه النشاط الفرنسي تجاه الدولة العثمانية بنصر اخر من عهد الملك هنري الرابع 1589 – 1610 الذي جعل احد اركان سياسته الخارجية هو احياء التحالف العسكري مع الدولة العثمانية ويكون موجها ضد اسبانيا فاقال سفيره من اسطنبول دي لانكوم De loncome لاتصاله مع الاسبان واحل محله سافاري دي بريف s. de Breves الذي حمل مهمة تجديد الامتيازات التجارية ومحاولة دفع السلطان الى فتح جبهة جديدة ضد اسبانيا بارساله اسطوله الى توسكانيا لتهديد الاسبان هناك، فتنقطع بذلك الامدادات التي تقدمـــــــها تلك القوات للثائرين الفرنسيين من الداخل(خوري و اسماعيل ، 1990 ، ص 10)

واذا كان السفير دي بريف قد فشل من دفع السلطان الى شن الحرب ضد اسبانيان لكنه نجح في الحصول على امتيازات عديدة من المعاهدة التي عقدها مع الحكومة العثمانية في الخامس والعشرين من شباط 1597 ثم تمكن من تجديدها من العشرين من ايار 1604، وورد فيها لاول مرة حصول فرنسا على حق حماية الكنيسة الكاثوليكية ورعاياها من الشرق، وان يكون لدى ملك فرنسا ورعايا اصدقائه وحلفائه الحق م زيارة الاماكن المقدسة بكل حرية ودون اي عراقيل(المحامي ، 2009 ، ص274)

لكن ذلك التوافق الفرنسي – العثماني ومكانة فرنسا في نظر العثمانيين سرعان ما اخذ نجمها بالافول في النصف الاول من القرن السابع عشر من عام 1611 إذ وقفت البحرية الفرنسية موقفا سلبيا تجاه الصراع العثماني الاسباني من البحر المتوسط(المحامي ، 2009 ، ص 274).

وعلى اثر ذلك في عام 1612 انتهى احتكار الفرنسيين للحماية التجارية للتجار والسفن الاوربية ولم تعد تبحر السفن تحت العلم الفرنسي لحصول الهولنديين على الامتياز نفسه من ذلك العام، بعد ان حصل الانكليز قبلهم على ذلك الامتياز(اينالجيك ، 2002 ، ص 215) ووصل النفور بين الطرفين حدا لا يطاق في عهد الصدر الاعظم درويش باشا، وكأنه كان يفتقد للثقة بالفرنسيين، اذ حدث في مقابلة جمعته مع السفير الفرنسي دي لاهاي DesaHaye الذي قدم له مذكرة باسم الحكومة الفرنسية يخبره فيها ان الجيش الفرنسي قد انتزع

مدينة آراس Arass من الاسبان واستولى عليها فاجابه الصدر الاعظم (ان السلطان لا يهمه كثيراً ان تقوم الكلاب بافتراس الخنازير او ان تقوم الخنازير بافتراس الكلاب)(نقلاً عن الشناوي ، 1969 ، ص796).

واستمر ذلك البغض من عهد الملك الفرنسي لويس الرابع عشر 1624- 1715، لاسيما بعد ان استجاب الدعوى البابا الاسكندرية السابع 1655 – 1667 بالانضمام الى تحالف اوربي ضد الدولة العثمانية واقترح الملك الفرنسي ان يقدم ثلاثين الف مقابل من الفرنسيين، ومثلهم من الفرنسيين وحلفائه الالمان(الشناوي ، 1969 ، ص794) ولا يخفى على احد ان اشتباك الجيش الفرنسي من حرب سافرة ضد القوات العثمانية يُعدُّ خروجا على تقاليد الدبلوماسية الفرنسية التي كانت على الدوام تهدف الى توثيق عرى التفاهم بين البلدين.

وتنامى هذا التباعد من عهد صدارة محمد كوبريلي باشا، اذ منذ لحظة تعيينه من الصدارة عام 1656 تجاهل السفير الفرنسي دي لاهاي هذه المناسبة ولم يقدم الهدية المعتاد تقديمها من قبل السفراء من تلك المناسبات الى الشخصية التي تلي منصب الصدارة العظمى، وقد يلوح ان السفير قد هالته كثرة عدد الاشخاص الذين تعاقبوا على ذلك المنصب في المدة التي قضاها سفيرا لبلاده في اسطنبول وكان مما يثير الصدر الاعظم ايضا وصول اخبار مفادها وجود متطوعين فرنسيين يقاتلون الى جانب البندقية من الدفاع عن كريت، وبفضل هؤلاء استطاعت البندقية انتزاع سانتافيراندا Santa veranda وبضعة حصون منيعة من جزيرة كريت(الشناوي ، 1969 ،ص796-797)

وقد تطور البغض الى عداء سافر بين الصدر الاعظم والسفير، على اثر وقوع خطاب سري مشفر بيد الصدر الاعظم، كان مرسلا من جرموفيل Grasonville وهو ايرال بحري فرنسي يعمل في خدمة الاسطول البندقي الى السفير، وبعد الحاح شديد من الصدر الاعظم على السفير وابنه لفك رموز الخطاب، ومقابلتهما برفض ذلك، ثم اعتقالهما وايداعهما السجن، ومع انهما اطلق سراحهما بعد مدة وجيزة غير ان الحادثة كانت كافية لأرسال الحكومة الفرنسية سفيرا فوق العادة هو دي بليوندیل De piendel للاحتجاج لدى الحكومة العثمانية(ارسلان ، 2001).

وكان لهذه التداعيات اثرها في ايعاز صدر الملك لويس الرابع عشر لهذا لم يتردد في الانضمام للحلف الصليبي الذي تشكل فضلا عنه من النمسا والمانيا عام 1664، واصطدمت قوات الحلف والعثمانيين من معركة سان جوتار من الاول من اب، وتبادل فيها الطرفان النصر والهزيمة دون تحقيق نصر نهائي لاحد الطرفين، وانتهت بتوقيع صلح فاسفار في العاشر من اب 1664، الذي اقتسم بموجبه العثمانيون والنمساويون بلاد المجر(الشناوي ، 1969 ، ص800-801).

وتأسيسا على تلك التطورات ظلت العلاقات الفرنسية العثمانية من حالة من التراضي طيلة المدة المتبقية من مدة حكم الملك لويس الرابع عشر. على الرغم من المحاولات الفرنسية الحثيثة لاستئنافها، ففي عام 1666 ارسل الوزير الفرنسي كولبير ممثلاً عن الحكومة الفرنسية وهو ابن السفير السابق دولاهاي لأجل ترميم العلاقات مع الحكومة العثمانية والحد من تأثير تدخل الدول الاوربية الاخرى من اسطنبول، لكن يبدوا ان الوزير لم يكن موفقا باختياره، فقد رفض الصدر الاعظم احمد باشا كوبريلي الاستماع اليه من فور وصوله، واعادت الحكومة الفرنسية الكرة مرة اخرى عام 1669 لغرض تسوية الامور، واستئناف نشاطها التجاري غير انها فشلت في ذلك تحت تأثير تحريض السفير الانكليزي، قائلا له الصدر الاعظم (ان الدولة العثمانية مفتوحة لكل من يريد دخولها ولا يمكن للملك الفرنسي ان يمنع احدا من ذلك)(العزاوي ، 2003، 26 ؛ مانتران ، 1993 ، ص372).

وامام مستجدات الصراع العثماني والنمساوي وحاجة الدولة العثمانية للتحالف مع فرنسا او حيادها على الاقل يقابله اصرار الحكومة الفرنسية امام قوة زخم المنافسة الانكليزية حول التجارة الشرقية، دفعها للاستمرار من ارسال البعوث للدولة العثمانية في محاولة لاستئناف تجديد الامتيازات وتمكنوا من ذلك على يد مبعوثهم ام. دي. نيونتيل الذي توصل مع الحكومة العثمانية الى توقيع معاهدة في الخامس من حزيران 1673، ومما تضمنته المعاهدة تخفيفا كمركياً بلغ من 5 – 3 % (souse ,1933,71).

وكان عقد المعاهدة بمنزلة صفحة جديدة للعلاقات الفرنسية – العثمانية فقد ارسل الملك الفرنسي سفيرا جديدا الى الدولة العثمانية هو دور تيير m. dortioer عام 1685 لغرض تنظيم العلاقات التجارية بعيدا عن منافسة الدول الاوربية الاخرى التي اخذت تشدد من مواقفها حيال التجارة الفرنسية ومن الاجراءات التي تخذها من هذا الصدر هو منح تصدير السلع الفرنسية ذات النوعية الرديئة، وهو الاثر الذي اخذت تضطلع به غرفة تجارة مرسيليا(حسنة ، 2005-2006 ، ص32).

ونجح السفير الذي اعقبه وهو فيربول ferpiol عام 1700 لمتابعة تطبيق بنود الامتيازات الفرنسية على الاراضي العثمانية مع حكومة الدولة الاخيرة بكل دقة كما ان السلطان العثماني من جانبه ارسل رسالة عام 1703 الى الملك الفرنسي اعرب فيها عن رغبته من توطيد العلاقات بين البلدين وتأكيد الامتيازات الفرنسية في بلاده(حسنة، 2005-2006 ، 32-33).

وعندما اعقبه السفير اليور Aluors عام 1710 كان من ضمنت واجباته الدبلوماسية والتجارية، هو مواجهة التوسع الروسي الذي يهدد مصالح فرنسا في الدولة العثمانية من تحريض الاخيرة على روسيا، وقد

نجح من مهمته عندما تمكن بما بذله من جهود من تحقيق الانتصار العثماني على روسيا عام 1716(المفرجي ، 2015، ص 281).

الخاتمة

-اتضح مما سبق تميز العلاقات الفرنسية العثمانية بالعداء تارة و التقارب تارة اخرى ، حيث كانت في بدايتها تدور في فلك العداء المتمثل بحصول الملك الفرنسي لويس الحادي عشر على الامير جم من اجل استخدامه للضغط على السلطان العثماني ، والى التقارب في مطلع القرن السادس عشر بتوقيع معاهدة الامتيازات 1535 .

- وضعت فرنسا اسس التعاون السياسي والاقتصادي والعسكري بينها وبين الامبراطورية العثمانية من خلال توقيع هذه المعاهدة وتجدديها على يد السلاطين وبذلك فسحت لنفسها المجال بالتدخل في الولايات العثمانية بحجة حماية رعاياها .

- حققت فرنسا هدفها بعدم الوقوع تحت وطأة اسرة آل هابسبرغ من خلال زيادة عرى الصداقة بينها وبين الامبراطورية العثمانية .

- كانت سياسة فرنسا متمثلة بالتذبذب لاسيما بعد وفاة السلطان سليمان القانوني حيث كانت تظهر مساعيها مرة للحفاظ على الصداقة مع الامبراطورية العثمانية ومرة نراها تؤيد التحالف الاوربي في حروبه ضد الدولة العثمانية .

- بعد ظهور الدول الاوربية وتحسن علاقتهم مع الباب العالي ومطالبتهم بامتيازات مماثلة للامتيازات الفرنسية مستغلين حالة التوتر او الفتور التي اصابت العلاقة الفرنسية العثمانية رأت فرنسا من الضروري اعادة ترتيب امورها مع الامبراطورية العثمانية من اجل عدم فقدان مصالحها وامتيازاتها فيها .

قائمة المصادر

الرسائل والاطاريح :

- حسنة،(2005-2006) ، كمال ، العلاقات العثمانية – الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث 1789 – 1807، رسالة ماجستير قدمت الى كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر .

Hasna, (2005-2006), Kamal, Ottoman-French relations during the reign of Sultan Selim III 1789-1807, a master's thesis submitted to the Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Algiers.

- العكيلي(1999) ، صالح حسن ، بولندا 1733 – 1795 اطروحة دكتوراه قدمت الى كلية التربية، ابن رشد جامعة بغداد.

Al-Ukaili (1999), Saleh Hassan, Poland, 1733-1795, a doctoral thesis submitted to the College of Education, Ibn Rushd University of Baghdad.

- القيسي، (2008) ، انيس عبد الخالق محمود ، النشاط البحري العثماني في البحر المتوسط خلال القرن السادس عشر، اطروحة دكتوراه قدمت الى كلية الاداب، جامعة بغداد.

Al-Qaisi, (2008), Anis Abdel-Khaleq Mahmoud, Ottoman naval activity in the Mediterranean during the sixteenth century, a doctoral thesis submitted to the College of Arts, University of Baghdad.

الكتب العربية :

- ارسلان (2001) ، شكيب ، تاريخ الدولة العثمانية، جمع وتحقيق حسن السماحي سوديان، دار ابن كثير، دمشق.

Arslan (2001), Shakib, History of the Ottoman Empire, compiled and verified by Hassan Al-Samahi Sudian, Dar Ibn Kathir, Damascus.

- افندي (1855) ، ابراهيم ، مصباح الساري نزهة القارئ، بيروت.

Effendi (1855), Ibrahim, Misbah al-Sari, Nozha al-Qari', Beirut.

- اميل خوري وعادل اسماعيل،(1990) ، السياسة الدولية في الشرق الاوسط العربي الجزء الاول من القرن السادس عشر الى مؤتمر فينا سنة 1815، دار النشر للسياسة والتاريخ، بيروت.

Emile Khoury and Adel Ismail, (1990), International Politics in the Arab Middle East, Part One from the Sixteenth Century to the Vienna Conference in 1815, Publishing House for Politics and History, Beirut.

- اينالجيك (2002) ، خليل ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الانحدار،ترجمة محمد الارناؤوط، دار المدار الاسلامي ،بيروت .

Enaljik (2002), Khalil, History of the Ottoman Empire from Evolution to Decline, translated by Muhammad Al-Arnaout, Dar Al-Madar Al-Islami, Beirut.

- بربروس (2010) ،مذكرات خير الدين ، ترجمة محمد وراج ،دار الاصالة للنشر.

Barbarossa (2010), Memoirs of Khair El-Din, translated by Muhammad and Raj, Al-Asala Publishing House.

- رائسي (2007) ، ادريس الناصر ، العلاقات العثمانية ــ الاوربية في القرن السادس عشر، دار الهادي، بيروت.

Raisi (2007), Idris Al-Nasser, Ottoman-European Relations in the Sixteenth Century, Dar Al-Hadi, Beirut.

- سرهنك (1892) ، اسماعيل ، حقائق الاخبار عن دول البحار، ج 1، الطبعة الامرية بولاق، مصر.

Sarhank (1892), Ismail, Facts of News about the Sea Countries, Volume 1, Bulaq, Egypt.

- الشناوي (1969) ،عبد العزيز محمد ، اوروبا مصطلح العصور الحديثة، الجزء الاول، دار المعارف ،القاهرة.

El-Shinawy (1969), Abdel Aziz Muhammad, Europe's Term of Modern Times, Part One, Dar Al-Maaref, Cairo.

- شوجر(1998) ، بيتر ، اوروبا العثمانية 1354 – 1804، ترجمة كمال الدسوقي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة.

Sugar (1998), Peter, Ottoman Europe 1354-1804, translated by Kamal El-Desouky, New Culture House, Cairo.

- العزاوي (2003) ،قيس جواد ،الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ط2، الدار العربية للعلوم، بيروت.

Al-Azzawi (2003), Qais Jawad, the Ottoman Empire, a new reading of the factors of decadence, 2nd floor, Arab House of Science, Beirut.

- فهمي (1970) ، نعيم زكي ،طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب اواخر العصور الوسطى، القاهرة.

Fahmy (1970), Naim Zaki, International Trade Routes and Their Stations between East and West, Late Middle Ages, Cairo.

- كلو(1991) ، اندريه ، غازي الغزاة سليمان القانوني، تعريب محمد الزرفي، تونس.

Chloe (1991), Andre, Ghazi Ghazi Suleiman the Magnificent, Arabization of Muhammad Al-Zorfi, Tunisia.

- المحامي (2009) ، محمد مزيد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق احسان صفي، دار النفائس، بيروت.

Lawyer (2009), Muhammad Mazeed Bey, History of the Ottoman Attic State, investigated by Ihsan Safi, Dar Al-Nafaes, Beirut.

الكتب الاجنبية :

1) A. Bruneau, tradition et politique dela france au levant, paris. (1932)

2) Alfred wood, cecil, History of levant company second Edition , London . (1904)

3) Edward S., Creasy, History of ottomam turks, Beirut. (1961)

4) S.p. H., Duggan, the eastern Question, study in kiplomacy, new york,(1956).

5) Gofan(2003) , Danel, the ottoman Empire and Early modern Europe, warin early modern world, cambedge .

6) Hurewitz(1956) , j.c., diplomacy in the near and middle east, ADocumentry Record 1535- 1914 , vol I new york .

7) Jonquiere(1914) , Dela , History De'l Empiore ottomaqm , Depuis les origins jusqu , 'A Nos jours, paris, .

8) lane pool(1890), Stanley –, h, D. Jerrold uelly, the story of Barbary corsairs , London .

9) maltett , shaw(2014), Michael. E., christen, the Italian Erope , London .

10) Miller(1956) m William, the ottoman empire and its sucessors 1801 – 1927 , London, duggan. S.p. H, the eastern Question, study in kiplomacy, new york.

11) Shaw(1976), Stanford, history of ottoman Empire and modern turluey, vol l , Empire of the Gazis- the Rise and Decline of the ottoman Empire 1280 – 1808, Cambridge university press.

12) smith (1967),Janathon Rilex –, the knights. Of st.john hn jeruwalem and cuprus 1050 – 1310, London.

13) Sousal(1981) , Ismail, fraizln talive turd diplomasi manasebetleir 1789 – 1802 , Ankara.

14) Souse(1933), Nasim, the capitulatory regime of turkey Baltiomore , the johns Hopkins press.

15) Usru(1908) , j, la poltique orintale de francois 1515 – 1547 , paris.

16) William(1944) , Basil, the British Empire , London .

البحوث العربية :

- الدوري(2012) ، رائد سامي حميد ، معاهدة الامتيازات العثمانية الفرنسية لعام 1536 دراسة تاريخية تحليلية، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد 19، العدد 2، شباط.

Al-Douri (2012), Raed Sami Hamid, The Ottoman-French Concessions Treaty of 1536, Historical Analytical Study, Tikrit University Journal of Science, Volume 19, Issue 2, February.

- المفرجي(2015) ، فاطمة حسين ، العلاقات العثمانية الفرنسية 1566 – 1740، مجلة سر من رأى، المجلد 11، العدد 41، السنة الحادية عشر، حزيران.

Al-Mafraji (2015), Fatima Hussein, Ottoman-French Relations 1566-1740, The Secret of Man Raa Magazine, Volume 11, Number 41, Eleventh Year, June.

البحوث الاجنبية :

- Jansen(1985), Delamar, The Ottoman Turks in sixteenth century French Doplomacy , the sixteenth century journal, Volume, xvi , no 4.
- Lewis(1999), Archibaled t., the istalamec world and the latin west 1350 – 1500 , speculum, vol 65, No 4 oct .